تحولات القصيدة العربية

● يأخذ كتاب (تحولات القصيدة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين) للناقد والشاعر د. صلاح العايدي أستاذ النقد الأدبي بجامعة عين شمس، على عاتقه منهجا علميا في بحث ملامح الشكل للشعر العربي الحديث ولتحولاته عبر عدة مداخل أهمها ما أسماه الباحث نفسه التشكيل الفني للقصيدة، فضلا عن أنه عني بالمركب المجازي والنحوي على نحو ما واضعا في الاعتبار أن الوعي بهذا التشكيل وبدلالاته وتحولاته يعد ملمحا نقديا معاصرا لا مناص من الدخول إلى غياهبه لسبر أغواره.

يعد د.صلاح العايدي أحد شعراء الأجيال الجديدة في مصر، وهو من مواليد ٤ ديسمبر عام ١٩٦٧، وحصل على ليسانس الآداب جامعة عين شمس عام ١٩٩٠ ثم على درجة الماجستير بدراسة أسلوبية حول شعر النابغة الذبياني من الكلية ذاتها عام ١٩٩٨.

ويرى الباحث أنه لا نستطيع أن ندعي أن نموذج التفعيلة انتهى أو بطلت قيمته الفنية بوفاة ممثليه الكبار، وبالمثل لا نزعم أن قصيدة السبعينيات تراجعت إلى الظل بتحول أكثر شعرائها إلى اصطناع نموذج قصيدة النثر في تطورها الأخير ومن ثم فإن من الخير أن ننظر إلى القصيدة العربية في تاريخها الطويل والحداثي خاصة بوصفها مجموعة من النماذج، أي مجموعة من التشكيلات الفنية المتميزة تخص كل نموذج على حدة، سواء كتب هذا النموذج شاعر ينتمي إلى جيل مبتدعه أو كان ينتمي إلى جيل أسبق.

ويشير الباحث إلى عدم أهمية وجود التفعيلة في بناء القصيدة إلا في حال استخدامها بوصفها عنصرا عضويا من عناصر بناء الدلالة وأن هذا ما اعتمد عليه شعراء الخمسينيات وكان عنوانا لتجاربهم، أما شعراء السبعينيات فقد جعلوا اللغة المغلقة عنوانا لتجاربهم لما أثبته النقد جملة من اعتماده على هذا النحو الخاص من تشكيل الدلالة، أي بالاعتماد على مخالفة التركيب الشائع في التعالقين النحوي والدلالي، أما النموذج الأخير والذي يعد آخر ما وصلت إليه القصيدة من تطور في رحلتها المحدثة، فقد اتخذ من التشكيل البصري لدلالته عنوانا رئيسا يميز تجاربه.

ويقول: في السبعينيات تحولت العلاقة بين المعنى / اللفظ ليكون اللفظ هو المركز الذي يحرك المعنى، وبعبارة أخرى لم يعد المعنى هو الذي يوجه اختيار اللفظ بل إن اللفظ هو الذي يحدد بايحاءاته تشكيل المعنى ومن ثم انتقلت صورة العالم من طبيعتها المفتوحة إلى طبيعة مغلقة، يمثل فيها عالم اللغة عالما موازيا للواقع، أما المرحلة الأخيرة فقد مضت أبعد من ذلك بهذا الحدس.

فلم يعد مرتبطا بالتصور الذهني عن العالم وإنما العالم هو ما تحدده الصورة البصرية التي تلتقطها العين في لحظة بعينها، وهذا يفسر اتجاه الألفاظ في هذه المرحلة إلى تمثيل حركة الواقع وليس معانيه، أما المعاني أو الأفق الدلالي فهو حركة وسيطة تنشأ في الاستجابة الجمالية للقارئ وبعبارة أوضح انتقلت المعاني من كونها معروفة أو محتملة نصل إليها بالحدس إلى كونها لحظات بصرية تتشكل وتنحل في لحظة واحدة، أي يعاد صنعها في قفزات وفي اتجاهات شتى دونما تدخل من التشكيل المعروف لدى الجماعة اللغوية.

وفي موضع أخر من الدراسة يفصل الباحث حيث يقول: هذا الفهم لحقيقة الشعر المبني على تفهم التراث وتطويعه لخدمة التشكيل الجديد للقصيدة العربية، أقول هذا الفهم تغير في المرحلة التالية مع ظهور شعراء السبعينيات الذين عدوا اللغة مناط البحث في الشعر، وبمعنى آخر رأى شعراء الجيل الجديد أن القصيدة في حقيقة أمرها عملية كشف لمعان غير مسبوقة في الألفاظ وفي التراكيب، وبالتالي لم تعد القصيدة رحلة الشاعر إلى المعنى على النحو الذي يراه رواد الشعر الحديث.

والفرق بين الموقفين يتجلى في سعي الرواد إلى تحديد المفاهيم الكامنة في دلالات الألفاظ، وفي سعيهم إلى كشف علاقاتها بالواقع، فالشاعر يريد أن يعيد بناء واقعه وفق رؤيته المعاصرة، وهي رؤية ذات طابع أيديولوجي تبني الواقع على تصور فني يراه الشاعر ذا طبقات متصارعة، في حين لا يؤمن شاعر السبعينيات بهذا التصور ويريد إعادة بنائه وفق طبيعته الجوهرية الخالية من مبادئ الأيديولوجيا، أي على النحو الذي تقترحه اللغة لا تصورات الساسة أو تصورات المثقفين الموالين لهم.

ويضيف الباحث: السبب في ذلك إحساس شعراء السبعينيات بعزلة تحول بينهم وبين عملية النشاط الاجتماعي لأسباب تتعلق بالتغيرات السياسية والاقتصادية على وجه الخصوص، وقد يكون هذا التفسير التاريخي غير صحيح، لكنه المنطلق الذي بني عليه شعراء السبعينيات تصورهم للواقع ولمفهوم الشعر الذي ينبثق عنه، ومن ثم وجد الشاعر ملجأه في اللغة يصنع منها سياجا يحميه من نشاط الجماعة خارجه، وقد أدى هذا المسلك إلى تفتيت نظام اللغة نفسه.

بينما لم تفلح إعادة البناء في إيجاد نظام بديل، ولذلك فقدت اللغة في إبداعهم قدرتها على الاتصال وسمي هذا المنهج تشظي اللغة، وعد انعكاسا لتفتيت شفرة الاتصال فيها. ومعنى ذلك أن شعراء السبعينيات بنوا موقفهم على رفض اللغة النمطية وبالتالي رفض كل ما يتعلق بها من منطق أن نظامها التقليدي مرتبط بقيم أيديولوجية أسقطها الزمن كما أنها تحمل تصورا للجماعة وللمجتمع ينتمي للقاموس ويترتب على ذلك أن ما حاولوا إثباته في شعرهم إنما هو لغة تستجيب لحساسية المجتمع المعيش ولاضطرابه الدائم.

ومن ثم كان الشعر والقصيدة في رأيهم نصا لغويا يقاوم علامات التقليد ويبني على نفيها عالما جديدا يرفض التشكيل الجاهز ويستجيب لاحتمالات التشكيل غير المحدودة في بنية المجتمع. ويتساءل الباحث لماذا يلجأ بعض المعاصرين إلى نماذج ماضية؟ ويقول: الإجابة يسيرة، فالأمر هنا يعود أولا إلى التفضيل الجمالي الخاص لكل شاعر، كما ثانيا يعود إلى طبيعة التجريب التي تشمل في بعض مناحيها الرجوع إلى القديم والإفادة من بعض سماته الفنية في إنتاج التجربة الجديدة.

ولا ريب أن في هذا خيرا كثيرا للقصيدة العربية ويبقى أن أؤكد أن كل شاعر يتحمل مسؤولية قصيدته وأن عليه أن يقبل موقف القراء من نموذجه الفني، مع الإقرار أن موقف النفي والنفي المضاد قد لا يقدر كل قصيدة بما تستحقه تحت دعوى الانتماء إلى هذا النموذج أو ذاك. وقد خصص الباحث القسم الأول من الدراسة الفصل الأول والثاني لمتابعة الموقف النقدي وأدار المبحث الافتتاحي فيها (مفهوم الشعر وتحولات القصيدة العربية) على تحديد السمات الفارقة في القصيدة العربية التقليدية، ثم تابع التحليل في المباحث التالية لتبين موقف الشاعر الحداثي منها وهو الأمر الذي استغرق الفصل الأول من الدراسة.

أما الفصل الثاني (نماذج الوعي الفني) فهو في جوهره استكمال لدراسة السمات الفارقة في صناعة نماذج (موضوعية) للقصيدة العربية تعبر عن الفكر الاجتماعي المصاحب للتشكيل الفني، وعلى هذا النحو رتب الباحث ترتيبا مقبولا عرض ومناقشة السمات الفنية في تاريخ هذه القصيدة، بالإضافة إلى وضع قاعدة منضبطة للتحليل تنتظم الدراسة بأكملها.

وفي الفصل الثالث يقدم الباحث تحليلا مفصلا للتركيبين اللغوي والمجازي في قصيدة النصف الثاني من القرن العشرين ويعمد إلى التركيز على المركبات الأساسية في كل مرحلة من مراحل القصيدة، ومع الإغراق الضروري في تحليل هذه المركبات من وجهة نظر نحوية لغوية وربطها بالدلالة الفنية للمجاوزة في النصوص المقدمة، كما عمد إلى التركيز علي المركبات الفاعلة في تشكيل القصيدة محاولا ترتيبها بحسب الأهمية وبحسب انتقال التفضيل في استخدام المركبات اللغوية والمجازية من مرحلة إلى أخرى.

وبعبارة أخرى حاول الباحث إبراز التحول الفني من خلال التشكيليين اللغوي والمجازي للقصيدة طوال النصف الثاني من القرن العشرين، مع ربط هذا التحول بسياقاته الاجتماعية والثقافية والفنية المصاحبة إن البحث في جملته نهض على جناحين متوازيين الأول تمثله القضايا العامة والثاني تمثله عناصر التعبير وآليات التشكيل الفني داخل القصيدة، بالإضافة إلى عناية البحث بتحليل مواقف شاعر الحداثة من الأركان الأساسية في التشكيل المحدث لقصيدته.

العلاقة بين التّاريخ والشّعر

محمود محمد أسد

الشعر ذاكرة وبوح وانفعال وموقف وتجسيد . ولغة خاصة . وخيال يحمل التمرّد على الواقع ليسبح بالمراد والمتمنّى . ينحو نحو الجمال، ويسعى لدغدغة المشاعر وإثارتها .

والتاريخ أرقام ووصف، وانتقال وعدد وأقوال وخطب وبعث للمأمول أيضاً .

موقف ممّا جرى، وموقف من الحياة والأشخاص، لهما أدواتهما ووسائلهما، كلاهما يسعى لنسج الحدث ولكنْ كلٌ بطريقته .

الشعر يصحبك بعيداً عن جو المعركة ويجعل ميدانها النفس والكلمة والمشاعر، يثير فيك شهوة الكلمة، لكن التاريخ يأخذك بيدك إلى الميدان، يعيد ترسيم المعركة، ويحدّد خطوطها عن بعد وقرب، من قبل الحدوث وبعد الحدوث، والشعر تستدعيه النتائج، وتعيد تكوينه، فتبعث اللغة من جديد . بعضهم يرى الشعر خارج نطاق التاريخ والتحديد، وذلك بانتهاء الحدث وموت الشاعر، لكن الشاعر بموته يحيي المناسبة والحدث، "موقعة عمورية ومعركة حطين والحدث وبور سعيد"، أمّا التاريخ فيريك الأسباب والمسبّبات، يرى بعضهم أنّ الشعراء ليس من شأنهم الاستناد إلى حوادث عصرهم، ولا يرهقون أنفسهم وذاكرتهم بالتسجيل والمحاكمة والرواية واستجداء الموقف، حسبهم الجمال وصبّ معين الخبرة والحكمة .

ربما هناك آراء تمزج بين الرأيْن، وهذا ممكن . فالشاعر ليس مؤرّخاً حاذقاً ودقيقاً لما يجري أو جرى، وليس مطالباً بالتتبّع والرّصد، وإنهاك شاعريّته على حساب الواقع والحدث فحسب . وبالمقابل ليس الشاعر بمعزل عن محيطه الذي يلازمه، ويعايشه في أحزانه ومسرّاته، وفي إنجازاته ونكباته . شاء أم أبى؟ وذلك ضمن إطار العلاقة المتواشجة . ومن هنا يجد الشاعر نفسه في حالة صراع داخليّ بين كونه شاعراً حلم، ويتمنّى، ويرغب الكثير، وبين كونه إنسانا يرى ويتابع ما يجري . فمن يأخذ الآخر؟ هل يأخذه الشعر إلى عوالمه البعيدة الحالمة أم ينساق وراء الحدث وقد جرّده من الأولى؟ وقد يقول قائل: ولمَ لا يوافق، أو يعاضد بين الحالتين؟ هنا تكمن الحقيقة التي تحتاج لبراعة ودراية وتقنية وخيال خصب دون إلغاء الحدث بأهميّته .

قد قال بعضُهم : ليس الشاعرُ ملزَماً على إكراه نفسه لتاريخ ما يجري والدّخول في حيثيّات الأحداث . وبالمقابل يقول أحدُهم هل الشاعر محقٌ بتنحية ذاته ونفسه عن الأحداث، فيتجرّد من الزمن والمحيط اللذين يعيش فيهما . ويبقى عَلى الحياد كمن لا يعرف، ولا يرى، ولا يسمع . ويا لها من مأساة، ويالها من داء مخجل .

إنّ الشعر العربيّ القديم، ولعهد قريب لم يكن بمعزلٍ عن تاريخ الأحداث والموقف منها، وإعادة صياغتها، وهذا ملاحظٌ لدى الشعراء بشكل جليّ كالبارودي، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، والزّركلي وغيرهم من الشعراء . . والغالبيّة العظمى من الشعراء وعن طريق أشعارهم عرفنا ما جرى، وتعرّفنا إلى الشخصيّات السياسيّة والمناضلة من شهداء وأحرار وعلماء "سعد زغلول، وعمر المختار، وإبراهيم هنانو، وعبدالقادر الجزائري، والحسيني، والقسّام، والثورات التي انطلقت في القرن العشرين، ولم تهدأ، بل قدّمت قوافل الشّهداء والأحرار" .

وأمام المستجدّات من المفاهيم والمصطلحات الوافدة وذلك في مجال النقد والبحث والتحليل، ومع شيوع أثر الثقافة الغربية التي حدّدت بعض ملامح الشعر الحديث ومساراته، وما تركته من أثر، وما فيه من مؤثّرات دفعت الشّعراء للتعبير عن القضايا المصيرية بأشكال مختلفة، هذا إذا لامسوها وعبّروا عنها . فافتقد الشعر جانباً مهماً من جوانبه التوثيقية، وافتقد روح الحماس والإثارة والحضّ، وخسر ريادته ودوره، وتخلّت الجماهير عن شعرائها الذين تنحوّا جانباً، واستقالوا من هذا الدور المنوط بهم . وما عادت القضايا الكبرى والمستجدّات الراهنة تشغل الشاعرَ ومبتغاه، فالتفت إلى ذاته المغلقة . فخسرنا من الشعر الكثير . خسرْنا التوثيق المهم، والحماس والشّهادة الحيّة . وخسرنا الجانب الوجداني القادر على دغدغة المشاعر، وتحريك النفوس .

الواقعة التاريخية الكبرى التي كانت توقد النفوس، وتشحذ الهممَ، أضحى طرحُها ومتابعتُها ليس من اختصاص الشعر والشعراء في نظر النقد والنقّاد المحدثين، فافتقد الشعر مقوّماً أساسيّاً من مقوّماته، فبدا التخاذل والهروبُ من ملامسة الواقع الذي ينظر إلينا بعتب المحبّ الحزين .

حلّ الجفاءُ بين الشاعر والمتلقّي، وبين الشاعر ونصّه، ما أدّى إلى الابتعاد عن كثير من الهموم التي تشكّل واقعاً مأساوياً، تعاني منه الأمم والشّعوب، ولكنّه حُرِمَ من لمسة الحنان والدفء الشاعري .

يبقى التاريخ، سواءٌ أكان جامداً أم متحوّلاً مجالاً للرؤية والنقاش والخلاف والمواجهة، والشعر يقوم بشيءٍ من هذا القبيل . بل يحرّك ما جمد من الحدث، فيبعثه من رقاده وسكونه . التاريخ الساخن والحارّ بحاجة لوجبة شعرية ملازمة، لكنّها وجبة خاضعة للتحديث والتطوير والإضافات، وإلا افتقد الشعر أهمّ عنصر يتمثّل بعنصر التشويق والحدث . هل سأل أحدنا عن مشهديّة الواقع الشعريّ، وعن كنه علاقاته، في وقت ما، ولزمن يمور بالمتغيّرات، ويرنو إلى المستقبل، ذاك المستقبل الذي بدا يلوّح بالقدوم والإطلالة، إنّه مشهد أراه سينحّي الشعراء ويحيلهم إلى التقاعد المبكر .

قصائد قصيرة

ليلى الهان

-1
سأثبت للسماء أنني ظل شارد
يدعي سقوط التيه.

٢-
سأثبت لحبيبي أنني خشية
وفجيعة
سوف أرمي كعب رأسي
للهاوية.

٣-
الجسد المشبوه يعلن عن
تنحيه /
من أعماله التي أصبحت لا
تزيد في رونقه.
المشبوه ذاك ما زال يخشع
بعمق تحت وسادتي.

٤-
بحرارة خجلها تتمرد من
أعلى رأسها /
تسقط وتنكب على قدميها
كسحابة مثقوبة.

٥-
الحسنة الكبيرة والوحيدة /
هي ازدحام أفواهنا بالنميمة.

٦-
القاعة / السجاد / المزهرية /
كل ما هناك يعكس الصورة
لمظاهرة غير نافعة.

٧-
تركض / تعيد الذاكرة إلى
مكانها
تصعد يسقط الباب إلى حذفه.

٨-
واحد أو اثنين كل ما هناك
يتجاوز العد/
واحد أو ثلاثة الحاسبة
تنسى عقلها بداخل دولابك
أيها الزمن.

٩-
المخلوقات لا تعترف بألوانها
/ بينما الألوان تعترف
بقيمتها النفسية.

١٠-
بأعطال السماء المتكررة تلوذ
الأرض نحو قمقم ممتلئة
بالعطش.

إصدارات ثقافية

إصدارات منوعة عن المؤسسة العربية و«شومان»

■ عمان – اصدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر بالتعاون مع مؤسسة شومان بالعاصمة الاردنية عمانثلاثة كتب منوعة عن التنمية والشباب وأعلام في الثقافة، تناول الأول «الثقافة العربية وأسئلة التنمية والتحديث « والثاني منارات ثقافية و يضم عدداً من المحاضرات التي ألقيت في منتدى عبدالحميد شومان الثقافي تكريماً للكتاب والمثقفين والأدباء الراحلين، والثالث تناول قضايا الشباب والعولمة وساهم به نخبة من المفكرين.

«الثقافة العربية وأسئلة التنمية والتحديث»

يصدر هذا الكتاب في إطار التعاون بين المؤسسة العربية للدراسات والنشر ومؤسسة عبد الحميد شومان.

يجمع عدداً من المحاضرات التي ألقيت في منتدى عبد الحميد شومان الثقافي خلال عامي ٢٠١٠-٢٠١١ .

ساهم في المحاضرات: سمير مقدسي ، محمد بن عيسى ، وجيه كوثراني ، فدوى نصيرات ، فهمي جدعان ، عماد الدين أبو غازي ، معين حمزة، سالم ساري ، مسعود ضاهر ، هشام نشابه ، سليمان عبدالمنعم.

كتب د. سالم ساري في تقديمه للكتاب الذي يقع في ٢٥٦ صفحة: أنها ليست مجرد محاضرات موسمية تضاف الى الرصيد المنشور لمؤسسة عبد الحميد شومان، وإنما هي أوراق بحثية جادة تمثل قيمة فكرية مضافة للحصيلة الثرية التي تسهم بها « شومان « لإثراء التكوين المعرفي الحر للإنسان العربي الجديد في الوطن العربي الكبير . القضية الفكرية / العملية الناظمة لأوراق هذا الكتاب هي الثقافة العربية وإشكالية التنمية : الثقافة المجتمعية باعتبارها القضية الدينية الدنيوية ، اللينة الصلبة الحاكمة دوما للمجتمع العربي ، في سكونه وتغيره في استقراره واستمراره .

والتنمية الانسانية باعتبارها القضية العلمية / الواقعية ، القائمة / الماثلة كتحدٍ عنيد أمام المجتمعات العربية اليوم وغداً.

وتتناول أوراق هذه الندوات قضية الثقافة العربية وعلاقتها بالتنمية ضمن محاور فرعية متصلة : الثقافة والديمقراطية، الثقافة والبحث العلمي، الثقافة الدينية التقليدية، الثقافة المجتمعية الراهنة بما تقتضي من إشكاليات الثقة والتواصل والشراكة .

«منارات ثقافية»

في إطار التعاون بين المؤسسة العربية وشومان صدر كتاب «منارات ثقافية» ويضم عدداً من المحاضرات التي ألقيت في منتدى عبدالحميد شومان الثقافي تكريماً للكتاب والمثقفين والأدباء الراحلين، وهم: مصطفى وهبي التل (عرار)، حسن كرمي، مؤنس الرزاز، عيسى الناعوري، عبد العزيز الدوري، ومحمد طمليه .

كتب الناقد فخري صالح في تقديمه للكتاب الذي يقع في ١٦٠ صفحة من القطع الكبير: «إن جمع هذه المحاضرات والندوات التكريمية يكتسب أهميته . خصوصاً أن القامات الثقافية التي يتحدث عنها الكتاب مثلت أثناء عيشها، وبعد مماتها، منارات يستضاء بها في الأنواع الإبداعية التي أنجزت أعمالها ضمنها أو في مجالات اختصاصها الواسعة المتنوعة . ما يجعل هذا الكتاب يضم قوسا واسعا من الاهتمامات من الشعر إلى الرواية إلى القصة القصيرة الى الادب الساخر ، ووضع المعاجم والقواميس ، وصولا لعلم التاريخ ،

ما يوفر للقراء تعريفا بأعمال عدد من القامات الثقافية الأردنية والعربية السامقة . «

«الشباب وعالم جديد»

وصدر هذا الكتاب الذي يحمل عنوان «الشباب وعالم جديد « في إطار التعاون بين المؤسسة و شومان بمساهمة نخبة من المفكرين: عادل الطويسي، صفاء الشويحات، عبدالرحيم الحنيطي، غسان عبد الخالق، إبراهيم عثمان، محمد خير مامسر، سالم ساري، أحمد مصاروة ومراجعة وتقديم تيسير أبو عرجة الذي يقول في تقديمه للكتاب الذي يقع في ١٤٤ صفحة من القطع الكبير:«يصدر هذا الكتاب وفيه خلاصات فكرية مهمة، لنخبة من الباحثين، يتم فيها التركيز على الشباب.

القضايا العربية في الخطاب الإعلامي الأمريكي

صدر عن المركز القومي للترجمة بالقاهرة، الترجمة العربية لكتاب «الحروب الهمجية العرب والمسلمون، وفقر الفكر الليبرالي»، تأليف الكاتب الأمريكي ستيفن سالايتا وترجمة يوسف عبد العزيز.

ويدين الكتاب المكون من ١٢ مقالة، الخطاب الإعلامي الأمريكي وتناوله للقضايا العربية مثل «العنصرية المضادة للعرب والإسلاموفوبيا»، كما يكشف مؤلفه أسباب تهميش العرب في الخطاب الثقافي الأمريكي اليوم .

ويحاول المؤلف من خلال ما يسميه «المبدأ الأخلاقي»، تفكيك عدة عبارات شائعة في الخطاب الإعلامي اليوم عن صراع الحضارات والهمجية وغيرها من العبارات المثقلة بحمولاتها السياسية، كذلك يتناول المؤلف طرق التعبير عن ممارسات «حزب الله اللبناني» في الإعلام الأمريكي وتصوراته في شأن الحرب التي شنتها إسرائيل على لبنان عام ٢٠٠٦، لافتا إلى أن المحللين لم يبذلوا جهدا كافيا لتفسير أداء حزب الله أبعد من حدود الاتهام وتصنيفه كمنظمة إرهابية .

كما يشدد الكاتب على أن وصف كل عنف عربي بأنه «إرهاب» يفتقر في الواقع للوسائل التي تحدد معيار هذا الحكم القاطع، ويكشف أن إدانة هذا الإرهاب مبنية على أهداف سياسية وليست أخلاقية بما يؤكد استمرار المعتقدات الراسخة بشأن التفوق الأبيض .

ويشير الكتاب إلى أن الوقاحة التي تطبق بها وسائل الإعلام الأمريكية كلمة «إرهاب» على السكان العرب تعزز فوق ذلك تصور أن العنف في العالم العربي خارج سياق التطور التاريخي، كما أن العرب بدورهم أصبحوا شعبا بلا حكايات، ينتمي إلى ثقافة عاجزة عن الإدراك ومثل هذه التصورات تشوش فهم الأمريكيين لكل من الولايات المتحدة والعالم العربي.

ويذكر أن المؤلف يعمل أستاذا مساعدا في اللغة الإنجليزية بجامعة فرجينيا، وهو متخصص في الكتابة عن الشئون العربية وشئون الأقليات، وبالإضافة إلى مقالاته الأدبية له عدة مؤلفات منها: الخطاب الإنترنتي للمجموعات العربية، الأرض المقدسة في انتقال، العنصرية ضد العرب في الولايات المتحدة الأمريكية .

«سيدة الأعشاب»

● عمّان . يقول القاص خليل قنديل عن علاقة نصه القصصي بالواقع «أنا الابن الشرعي للواقع، وأنا من أعطى رأسه الصغير لفنتازيا الواقع في وقت مبكر. فالطفولة الكامنة فيّ، تجعلني أرى الصباح وكأنه حادثة كونية تحدث للمرة الأولى، والمسألة لا تأخذ بتلك الجفافية التي يطرحها الآخرون».

ربما من هنا، ومن هذا الطرح الأولي للتعامل مع الواقع علينا أن نقرأ التجربة القصصية لخليل قنديل عموماً، والتي اشتملت على خمس مجموعات هي على التوالي: «وشم الحذاء الثقيل»، و«الصمت»، و«حالات النهار»، و«عين تموز»، و«سيدة الأعشاب» التي فازت بمشروع التفرغ الإبداعي التابع لوزارة الثقافة الأردنية.

ومؤخراً صدرت مجموعة «سيدة الأعشاب» في طبعة ثانية عن دار فضاءات للنشر، مشتملة على «١٢» قصة قصيرة تمثل حالة التجلي العميق عند «قنديل» في تعامله مع الأسطرة النائمة في بطن المجتمع الاردني والعربي عموماً.

الناقد المغربي محمد المعتصم يقول عن «سيدة الاعشاب»: «في قصص مجموعة قنديل للمرأة حضور مهيمن وللأمكنة أرواح تحيى بها وللنباتات حياة ومشاعر، وللعادات والتقاليد والمعتقدات سلطة قاهرة على الإنسان.

يكتب القاص خليل قنديل قصصه بإتقان نادر، ويمنحها روحها المحلية (الأردن) فيورد الأمكنة بأسمائها، ويتتبع خارطة (عَمّانَ) متربعة فوق قمم وسفوح جبالها، وبشرفاتها المطلة على المنحدرات والامتدادات. إنه قاص (محلي) وعبْرَ محليته ينشد العالمية لأنها الطريق الملكي».

اما القاص مهند صلاحات فيقول: «يقودك خليل قنديل إلى نهايات تقترب فيها السوريالية من الحلم، ما يبث شحنة عاطفية إلى نص من غير إفساد لمواقع فتنته، فأبو يحيى في قصة (البيت) يرى فتاة ممشوقة بيضاء في الغبش الفجري، تسير في العتمة الصباحية لسوق سقف السيل وتلوح له بايشارب أبيض، بينما وجهها يطفح بالبهجة، وفي قصة (السبعيني) يلتمع البرق فجأة في السماء راسماً وفوق شجرة التين ما يشبه اليد الخضراء.

تلك المرأة التي تؤنث نصوص خليل قنديل مستحضرة الغيب كلّه، تلك المرأة تسكن في مكان عصي على النسيان، فالكاتب اعتنى بالمكان عناية خاصة بعيدة عن المبالغة والتنميق اللغوي، وجاء وصفه شبيها بتفاصيل المكان ودافئا مثل الذكرى التي تحملها بمنأى عن صور العابر، فما أن تخلص من قراءة (عنقود عنب) حتى تقف متسائلا عن عدد المرات التي مررت بها من أمام درج جبل الحسين الهابط باتجاه العبدلي أو صعودك له ونزولك وما السبب الذي ألهاك عن رؤية عدنان الميكانيكي والتمتع بمفاتن علياء بدر وبراءة المريول الأخضر الذي قدر أن يكون أحد أزراره مشرعا، أو أنك قد ترغب في الخروج بنزهة تلمسية لأشجار جبل اللويبدة، دون أن يفوتك النظر بين أشجار الحدائق المنزلية عن السلطي صاحب اليد الخضراء».

بعد «عين تموز»، و«حالات النهر»، و«الصمت»، و«وشم الحذاء الثقيل»، يفاجئك خليل قنديل من تأمله الطويل في المرأة والمدينة، من دون أن ننسى أحلام الطفل التي تخمّرت في خيالات الكاتب بعد ثلاثين عاماً من القص.